في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ــ في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وأُلقيت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون أجلاّء ، من العرب ومن غير العرب .

يبدو لي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوىء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوى التعريب ، فغاية الامر عندي أن يقال له : فعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ واذا كنا قد أجزنا ان نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، أن نتجاهل حجج المعارضين ودعاواهم . وغنيّ عن البيان أن دعاوى المعارضين تجملها تساؤلاتهم : أين المصادر العربية ؟ واين المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم أين الدوريات العربية العلمية التي فيها ننشر ابحاثنا ؟ انهم ،بايجاز، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي أن نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكني ابادر الى القول بأن تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تخفي وراءها غير ما تظهر . وانني ، وقد سبق أن خضت مع زملاء لي معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين ان ما لا يظهره المعارضون هو التهيّب والتحرّج : معلّمٌ تَعَلَّمَ بالانكليزية ، وهو الآن بها يعلّم ؛ فَهْمُه لها محدود ، وفهمُ طلابه له اقلّ القليل ؛ ولكن الامر مُسْتور ، فلماذا يخوض هذا المعلّم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها الصارمة ؟ انه يخشى ان يعلّم بلغة قد يتقنها طلّابه اكثر منه . ان دافع المعارضين الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى ان المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلميّة تحت متناول يد القارىء العربي أمر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ ــ ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها أن التعريب خطوة سياسية ينبغي أن تأتي بقرار سياسي من عُل . وفي يقيني ان هذا القرار يعطي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف من فشل التجربة الاولى، لمجرد أن الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا التحرّج الذي اشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يأمر بالتعريب ، نبقى بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، وترقب، من حيث تشعر أو لا تشعر، تنفيذه ؛ ونبقى ايضا بحاجة الى خطوات تهيّىء الاسباب للبدء به وللسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي أُلمحتُ اليها . ولأبدأ بثانية الخطوتين :

أقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كلّيته .

وسئل الرئيس : هل اقـر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولـه ! ان للكلية الحق في ان تعلم بالعربيـة اذا هي ارادت .

ولمـا عرف اعضاء هيأة التدريس في كليـة العلـوم ان رئيس الجامعة يساند التعريب ويلحّ بطلبه ، ارتفعت أصوات الداعين لـه ، وخفتت أصوات المعارضين . وانّ كليـة العلوم في الجامعة الاردنيـة تتطلع الآن لأن تبـدأ التعليم بالعربية ، في العـام الدراسي القادم ، في السنة الجامعية الاولى ، على الاقـل .

ولا شـك ان خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا خطوة سبقتها ومهّدت لهـا السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمـع اللغـة العربية الاردني ، واكثرية اعضائه مـن رجالات الجامعة الاردنيـة . ذلك أن المجمـع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلـوم الاساسية ، اختارها اساتذة كليـة العلوم انفسهم على امـل استعمالها في السنة الاولى الجامعية ، وبعض الثانيـة .

وقـد أُعْلِمَت الجامعات العربية والمجامـع اللغوية بهذه الخطوة التي خطاها مجمع اللغـة العربية الاردني ، وتوالت على المجمـع كتب التأييد والتشجيع من مختلـف الجامعات والجهـات .

٣ ــ ولكنّ غنيّ عن البيان أن امـر ترجمة الكتب العلمية لا ينقضي بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا الف ؛ انه عملية متواصلة دائبة، لها بداية ، وليس لهـا نهاية .انها تمشي مع التعليم الجامعي جنبا الـى جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيـل الـذي يليـه .

في اوائـل هذا القرن ، قـام واحد من رواد ما يسمى بالنهضة العربية الحديثة ، بترجمة كتـاب انكليزي في الهندسة المستوية . ولعلّ اكثرنا يذكر الكتاب ، فقـد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب « هول واستيفنز » . ولقـد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن مـن

مدارس الشرق العربي . ولقد نفـد الاصل وتوقّف عن الطبـع ، وظلّت مـن بعده الترجمة تُطبَع المرة تلـو المـرة .

مثـل هذا لم يعـد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر يتطور فيـه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للنـاس ؛ فما من كتاب علمـي يصمد لرياح التطور أكثر من خمس سنـوات ، يُعَيَّدَها او تُقبِّلُها يُطرَح علـى الرفّ ان لم يبادر المؤلـف الى تجديده على نحو يتّفق مع ما استجـدّ من معلومات وخبرات ومفاهيم وأذواق . لـذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق،ويزحم بعضها بعضا : فما كان يُعَـدّ كتابا موّفقا بالامس ، يَسقط اليوم في الميـزان .

وليس هـذا التغيّر المستمر نقصا في الفكـر العلمي ، ولكنه من طبعه وطبيعته ؛ فـاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطـوّر هدف العلم . والتطـوّر في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هـي الخلود . نظرتان مختلفتان،ولكنهما تلتقيان في الافق البعيـد .

ممـا تقدم نَخْلص الى أن ترجمة الكتب التعليمية عمـل ينبغي أن يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهـذه ضرورة تزداد الحاحا كلّمـا مضينا قُدُمـا في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه أن نبقـى مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيّـار التطور العالمي .

فـاذا اضفنا الى هذا السيل من الكتـب التعليمية الذي تفرزه المطابع ، كتـب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، نجـد اننا أمام امـر جلل يفوق كل وصف . قُدّر ما تخرجه مطابـع العالـم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لـو جمع في مجلد واحد لبلغ هذا المجلـد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبـة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكـر العالمـي ، والقارىء العربي لـه علينا واجب تقريب هذا الفكر اليـه ؛ وهذا واجب لا بـد من الاضطلاع بـه اذا كنا نبغي ان تكون الاجيال العربية

على علـم بروح العصر ، وعلى فهـم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب يستلزم ترجمة دائبـة متصلة .

انني ارجـو الا يظن انـي في تحمسي للترجمة خلطـت بين مهمتين : ترجمـة الكتب التعليمية من اجـل التعريب ، وترجمة الفكر العالمي الذي يستهدف خلق أجيال عربيـة تضيف الى موروثهـا الفكري والحضاري، الذي نعتز بـه، فهما ووعيا لروح العصر الـذي نعيش فيه . صحيح أن هنالك فرقـا بين المهمتين ، ولكن يخطىء من يظن أن التعليم يمكـن أن يمضي سليما بمعزل عن الحيـاة ، او ان العلم في اي عصر يمكن أن يُفْهَم الفهـم الايجابي البناء بمعزل عن فكـر ذلك العصر . انـه يكون كثمرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلـوة فانها تطعم آكلا واحدا ، امـا الشجرة فتطعم الناس أجيالا واجيـالا، وتفيء بظلها على كل مستظل . اني أتمنى أن يكون تعليمنا ، لا ثمـارا يتخطفها الآكلون ، بـل أشجارا تؤتي أكلها الشهي وظلها الظليل ورونقها الغض النضير . لعل من نقائض نُظُمنا التربوية القائمة أنها تقدم ثمارا شهية أكثر مما تغرس اشجارا نديـة .

٤ ــ نحـن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هـو واجب الترجمة . وامـر الترجمة لا يجوز أن يبقى فوضى بـلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة اقليمية ، وكيلا يهدر الوقت والجهـد بترجمة الكتاب الواحد اكثر مـن مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميـدان مصطلحات متضاربة تدخلنـا في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلـة .

المطلـوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعـات العربية ، وتباركها المجامـع اللغوية . والترجمة لا تتـمّ بمجرد ان تُنْقَل مـادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بـد من طباعة ، ثم لا بـد من نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامـع بالترجمة ، ثم تسلم امرها الـى دور النشر التجاريـة ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهـو لا ينبغي ان يكون في الكتـب التعليمية التي نؤلفها او نترجمها لابنائنـا الطلبة وزملائنا المعلمـين .

اذن تُحْسن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتب للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ ــ ارجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن اجل التعريب جئت اطرح فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيّ عن البيان اننا لا ينبغي ان نؤجل التعريب الى أن نترجم وننشر ، ونُقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر . ان ما اقدَمَ عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة فيها كثير من المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن المعلم في الجامعة الاردنية من أن يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك أن تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن أن يمضي بدونها ، ولو مرحليًّا .

اليس امرا هيّنا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرجع الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، اجدى واضمن لفهم الطالب من أن أحاضره بلغة لا يفهمها ، ثم اسلمه الى كتاب يُحَوّل درسَ العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني على يقين ان الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت الكتب المترجمة ؛ وهو امر سيتزايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ ــ ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هيّنة ، وانما هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولذا فاني ، في سبيل التفكير فيها تفكيرا صافيا بَنّاء ، احلّلها الى عواملها الاولية . ومن عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعبارة أخرى : ابحث في امـر الكتب التي تترجم ، وامـر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمْـر نشر هذه الكتب .

أ ـ امـا بصدد الكتاب الذي يترجَم ، فبين البيروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عـام يقوم باختيار الكتب،فيوقعنا في بـطء الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبـادرات الفردية ، كأن يقوم كلّ مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو لـه ، ثم اذا بنا نجد للكتاب الواحد اكثر مـن ترجمة واحدة ، ارى ان نختـار طريق المركزيات المحلّية . ففي الاردن ، مثـلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من أجـل التدريس ، فيعرضون قائمة بأسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكليـة ؛ فاذا اقتنع المجلس بجـدوى الترجمة ، آخذا بعين الاعتبار عمـر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التأليف من ناحية اخرى ، يتقـدم بطلب الى مجمع اللغـة العربيـة الاردني ؛ فاذا اقـر المجمع الترجمة،يخبر بذلك الجامعات العربيـة والمجامـع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فـاذا انقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبـح الجامعات والمجامع في حلّ من امـر ترجمته .

/ فمـا المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجـه هـذا الترتيـب البسيـط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجـد الى جوارها مجمعا مستعدا للاشراف على ترجمة مـا توصي بترجمته من كتب وعلى تمويلـه ، يمكـن أن تستعيض عنـه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كـي يتولى مهمة المجمـع هذه،مستمدا سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حـق الترجمة ، اذا امكن ، امـر ينبغي ان تسعى اليه المجامـع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنـا اننا لم نرتبط عالميـا باتفاقية حق المؤلف والناشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلـف او الناشر او كليهما اننـا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعـد ذلك مأخذ قانونـي .

ثالثا : ان النظرة الواقعيـــة قد تغاير توحيد الكتاب الجامعي فـــي جميع انحاء العالم العربي . ولعـــلّ في ان يُتَرْجَم في الموضوع الواحـــد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فابناؤنا بحاجة الى كتـــب مقررة والى مراجع ؛ وإن مـــن الخطر ان يكون ثمـــة مرجع واحد يرجع اليـــه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر مـــا ينبغي ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استُعمِل كتـــاب مؤلَّف محلّيًّا،فينبغي أن يحرص مكتـــب الترجمة ان يكون هـــذا الكتاب من مستوى جيـــد متجدد ، فاذا لـــم يجدَّد وجب تغييره بدون تردد . ان لـــم يكن ما نؤلفه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيـــه .

خامسا : بالتأكيـــد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللغـــة ، ولا من حيث المحتوى ؛ فكـــل كتاب يُترجَم او يُؤلَّف ينبغـــي ان يُعرَض على لجنـــة تقييم تشـهد بسلامة لغتـــه وصحة ترجمته .

ب ــ نأتـــي الآن الى اختيار المترجمين : فهؤلاء طبعا من اساتـــذة الجامعة ، كل في ميـــدان تخصصه . والاساتذة منهم قلّـــة يقدرون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرون . امـــا اولئك الذين يقدرون على الترجمـــة فقد اوتوا موهبة عالية،هي القدرة على فهـــم لغتين فهما صحيحـــا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صحيحـــا . مثل هؤلاء قادرون على ان يكتبـــوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المـــردود المادي للترجمة مجزيا ، فسيفضّل هؤلاء أن ينصرفوا الى كتابة المقـــالات ؛ وان هـــم لم يترجموا فكل ما ندعو اليه مآلُـــه الفشل . لذلك لا بـــد من حافز سخيّ يحفزهم للترجمة . واول مـــا يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمـــة الناجحة مبررا قويا للترقية . انـــي اقولها بكل ما املك من قـــوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث الجامعيـــة الاصيلة ، فـــان الترجمة الناجحة اكثر منهـــا فائدة وادعى للترحيب . ولـــذا فاني ادعو الى جعلها مميَّزا يُستَدعي الترقيـــة .

امـــا الذين لا يقدرون على الترجمة ، فـــلا ينبغي ان ندير لهـــم ظهرنا ؛ ذلك ان الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومـــن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولـــذا فعلى المسؤولين عن امـــر الترجمة اخـــذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والاناة،عساهم يغدون بعد حين أحســـن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة أن تساعد على تخريج اجيـــال ممـــن يتقنونهـــا .

وبصـــدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقـــوّة أن يكون من مساقات كل قسم مساق واحـــد على الاقل يقتضي ان يقوم فيـــه الطالب بترجمة كتاب ، او فصل من كتـــاب ، أو بحث في ميدان تخصصه . ويمكـــن ان تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خُطِّط لمثـــل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبْذَل فيه من جهـــد مثمرا اكثر مما نتصور .

واود ان اشير الى العـــدو الرابض في المحتـــل من أرضنـــا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغـــة بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغـــة اكثر الفكر العالمي الرصين،وكوّنوا لهـــم مكتبات تنافس اغنى المكتبـــات .

فـــاذا تصوَّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية مـــلء العين ، تنظّمه وتشرف عليه مكاتـــب متخصصة ، في رحاب مجمـــع لغوي او جامعة ، وترجمة اخرى جـــادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل مـــن المصطلحات العلمية ، منهـــا المعرَّب ومنها المترجم ،ومنهـــا القديم ومنها المستحدث ، ومن هـــذا المستحدث ما قد يصمد وما قـــد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضـــه اللسان . ومع هذا السيل الـــذي يتدفق في كل قطر ، مَن ذا الذي يضمن الاّ نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالَ السياســـي ؟ !

الـــذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هـــذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على المجامـــع اللغوية ، كيما تساعـــد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلـــى رفض ما لا تراه مناسبـــا .

واذا كنـــا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطلب أن يمضوا قُدُما في ما يرونه مناسبا من تعريب أو ترجمـــة للمصطلحات المستحدثة ، واذا كنـــا ندرك أن مفاهيم بعض المصطلحـــات يعتريها ما يعتري العلـــوم ذاتها من تطور ، فينبغي الا نتردد قيـــد انملة في اشاعة ما تُقِرّه المجامـــع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالحاح على الالتزام بـــه ريثما يأتي ما هو أحسن منـــه . ليست الغاية التي نستهدفها قطع الطريـــق على استحداث المصطلحات ، ولكـــن الغاية أن نعمل على توحيدهـــا في العالـــم العربـــي .

ومكتـــب التنسيق، الذي يقوم بهذه المهمة خـــير قيام، ينبغي أن يكون من العلميين المتخصصين الذيـــن يشاركون في الترجمة ذاتهـــا ، ويعرفون عـــمّا يتحدثون . لـــذا أرى أن يكون هو نفسه مكتب الترجمة : ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى المجامـــع .

جـ ــ وبعـــد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

امـــا الطباعة فتتولّاها المطبعة ، والتكنولوجيا تولـــي الطباعـــة اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن احدث مطبعة نجده بعـــد سنتين قد فاته قطار التطور السريع . ومـــع تطور الطباعة يأتي التفنّن بالتلويـــن والاخراج وعرض الكتاب على نحـــو جذاب . ولقد اقنعتني الخبـــرة العملية والممارسة أن المطابع المحلية تجـــد اسهل عليها واقل كلفـــة أن تلبي الطلبات المتزايدة : مـــن اخراج جذاب ذي الوان وتجليـــد ، باللجوء الى مطابع في اثينا أو روما . وهذا امـــر مؤسف ، ولكن لعـــلّ علاجه من شأن المطابع المحليـــة . علينا ان ندفع بها للحاق بالركـــب ، وهي عاجلا أو آجـــلا ستستجيب .

ولكـــن الطباعة غالية التكاليف ؛ انها تبلغ اربعـــة اضعاف ما تكلفه الترجمة . واذا كـــان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى عـــدد كبير من الطلاب ، ضَمِنّا أن تُستَرَدّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلّمـــا يتوافر مثل هذا العـــدد في غير السنة الاولى الجامعية . امـــا في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا تتحمّله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزّات مبعثها التغيّرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يُسند بعضُها بعضا على نحو يُتّفق عليه وتُوقّع بصدده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل أن تسند الدولُ العربيةُ الغنيةُ مكاتبَ الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع أعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزوّد كلُّ مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغيُّر السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، أن يكون بامكان كل مكتب أن يُقْدِم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف أن عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة أعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي بأسره .

اخلُص مما تقدّم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة أو المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزّع فيها أعباء الترجمة ، وتُحَدَّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل اني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات باكثر من لغة اجنبية واحدة . وانا ابيح لنفسي ان أنصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وانـــي انظر في هذا الامر نظرة واقعية ، توامها النقاط المحددة التالية :

١ ــ ان طلابنـــا ياتون الى الجامعة بعد سنوات عـــدة ظلوا فيها يدرسون اللغـــة الانكليزية مع موضوعات تعليمية أخرى . فهـــم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم أولا : لـــم تتح لهم فرصة التحدث بهـــا بالقدر الكافي ، ولا فرصة استعمالهـــا في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هـــم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلميـــة .

٢ ــ في تقديري أن اي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغـــة الانكليزية لا يرفـــع من مستواهم بالقدر الملموس ، ســـوى مساقـــات تنصبّ على دراستهم والتحدث معهـــم في موضوعاتِ تخصصِهم العلمية . هذه المساقات تعرّفهـــم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنهـــا ، كالمساقات التقليدية التي سبق لهـــم أن درسوها في المرحلة السابقـــة ، لا تحسّن مستوى توظيفهم للغـــة في شؤون الحياة اليوميـــة .

٣ ــ ان مـــا يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حـــد ملموس باللغـــة الانكليزية،تحدُّثًا وكتابة،هو ارسالهـــم للعيش في محيط انكليزي لمـــدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليـــوم للتعلم في بلـــد لا يعرفون من لغتـــه كلمة واحدة ، ثم هـــم بعد ستة أشهر يصبحون على علـــم بلغته يمكّنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ ــ وغنـــيّ عن البيان اننا نتمنى ان يحرص جميع ابنائنـــا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننـــا نعلم أن هذه أمنيـــة لا تتحقق الا بقدر محـــدود .

مـــن هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة اجدني مقتنعا بهـــا ، هي ان تعريب التعليـــم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق تمهيدي باللغـــة الانكليزية ، يعرّف الطالب باهـــم المصطلحات العلمية وبعض التعبيرات ؛ ثـــم مساقين او اكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية ايضـــا ، يراعى

فيهما الالحاح علـــى استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيهـــا ، يخرج لنـــا طلابا اكثر ممن نخرجهم الآن اتقانـــا لموضوعات تخصصهم، واقدر ايضا على استعمال المصـــادر الانكليزية العلمية . فمن شـــاء مزيدا من معرفـــة الانكليزية فليعش في جـــوّ يتيح له ان يتعلم المزيـــد من الانكليزية تحدثا وكتابـــة .

ولا ينبغـــي ان ننسى اننا اوصينا بان يكون من واجبات كل طالـــب في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغـــة الانكليزية،استكمالا لمتطلبات تخرجـــــه .

ارجـــو ان اكون قد وُفّقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض الحلـــــول .

د. أحمد سعيدان